فاشرأبت الاعناق نحوي ، مرة أخرى . وتهامس السامر بالسؤال : من هو الرجل الكبير ؟

الا أن يعاد عاجلتهم بابتسامتها الساحرة وبأن والدها يتحدث عن ذلك الجندي ، الضخم ، ولذلك فهو رجل كبير ، الذي دخل معه في موضوع السياسة ونحن ندخل في الضفة الغربية عبر الجسر .

وطمأنتهم يعاد على اننا قادمان عبر الجسر باذن اسرائيلي رسمي . وسوف نبقى في البلاد شهرا نقضيه بحثا عن أخيها سعيد الذي جاءنا انه رهين في سجن شطة .

قالوا : الرهيب . .

قلت : اسألوني . .

الا أن هرجا ومرجا في الخارج انقذاني من هذه الوقعة الاخيرة . .

[٨]

السر الذي لم يمت بموت السر

رأينا مضيفينا يغدون ويعودون وقد اشتد عليهم التأهيل بنا كما لو اننا حللنا منزلهم توا حتى ضاع ، في ذلك ، صوت الضوضاء في الخارج . فحاولوا أن يضيئوا وجوههم المنطبقة على أمر خطير بابتسامات ذكرتني بأغصان الشجر فوق خوذة جندي او فوق دبابته .

وأردت أن أسأل : ما الخبر ! لولا قدم يعاد ، التي داست علـى رجلي ، فكتمت أنفاسي .

واختفت النساء عن أعيننا . وأطفال كانوا نائمين في زاويـة استيقظوا فحملوا أغطيتهم على ظهورهم وغابوا عن أنظارنا مطأطئي الرؤوس دون ان ينظروا في وجوه آبائهم .

وكان رجال ، لم نرهم من قبل ، يدخلون المضافة فيجلسون بعد أن يرحبوا بنا . وأما رجال الدار فكانوا يخرجون واحدا واحدا فلا يعودون .

سوى أبي محمود الذي تسمر في مكانه وقد أقام ظهره فلا تعرفه جالسا أم قائما .

وجثا فوق صدورنا صمت ثقيل كالذي يؤذن ، كما قيل ، بالعاصفة . فأردت أن أقول: « هذه هي الشجرة التي تصمد لها ! » لولا قدم يعاد الضاغطة بعناد على أسناني .

وأتانا من بعيد نحيب امرأة مخنوق الصدى . فاشتد ترحيب الغرباء بنا واحدا بعد واحد في حلقة لا فكاك منها ، يقومون ويقعدون فأقوم وأقعد دون ان انجح في فك قدمي من تحت قدم يعاد ، او لساني المتململ من عقاله .

حتى رأيت مضيفنا يخرج ، في مشية أرادها عادية فجاءت عسكرية ، ثم يعود وهو يقول : لا حول ولا !

فأطلقتها : خير ان شاء الله ؟

قال : شيخ جليل من أهلنا وافته المنية الليلة . فتبكيه النسوة .

فكلما وجدت ان كلامي محمول ، سألت :

ـــ المختار ؟